

الإنسان من منظور محي الدين ابن عربي

Human from the perspective of Muhyiddin Ibn Arabi

عبد الله رحموني*

¹ جامعة أحمد درايعية ادرار (الجزائر)، E-mail: abdallah.rahmouni@univ-adrar.edu.dz

تاريخ القبول: 2026/05/22

تاريخ الإرسال: 2026/01/31

ملخص:

يأخذ مفهوم الإنسان الكامل في الموروث الصوفي والفلسفي بعدا روحيا وبعدا رمزيا عند الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، تم تداوله هذا المفهوم معرفيا وأخلاقيا لكن من جهة أحادية الرويا، فإعادة بعث هذا المفهوم من خلال الفقيه الشيخ الأكبر هو محاولته بناء نظرية جدية توافقية تعيد للإنسان مكانته القدسية وتشكل علاقته بذاته وبالعالم والله تشكيلا روحيا قائم على البحث الباطني المرتبط بالقلب والإرتقاء في مقامات ومنازل كونية داخل السياق الاسلامي الديني. كما ان هذا المفهوم هو توحيد للرؤية القلبية التي تؤسس للمحبة كدين يجابه بها التعصب المذهبي والديني واحلال محل ذلك التسامح والذي يعد مطلب استطاع به سابقونا من بناء أسس للتعايش الثقافي والاجتماعي والديني. كلمات مفتاحية: إنسان كامل؛ إنسان؛ تصوف؛ مرآة الحق؛ كشف الأسرار.

Abstract:

The concept of the Perfect Human in the Sufi and philosophical heritage takes on a spiritual and symbolic dimension with the Great Sheikh Muhyiddin Ibn Arabi. This concept has been circulated intellectually and ethically but from a one-sided perspective. The revival of this concept through the Great Sheikh is his attempt to build a serious, consensual theory that restores to humans their sacred status based on inner research connected to the heart and ascending through cosmic stations and abodes within the Islamic religious context.

This concept is also a unification of the heart's vision that establishes love as a religion to confront sectarian it with tolerance, which is a demand through which our predecessors were able to build foundations for cultural, social, and religious coexistence.

Keywords: The Perfect Human; Human; Sufism; Mirror of the Truth; Top of Form Unveiling Secrets.

1- مقدمة

لقد أعتنت كل الديانات الوضعية والسماوية بمدى قدسية الإنسان ورمزيته، وقد هدف الفكر الفلسفي والديني بالخصوص بإعادة بعث هذا الموضوع لما له من مركزية كونية تحلم خاصية وجودية وأخلاقية وروحية، وذلك الاهتمام هو سعي إلى فهم ذاته ومعرفته غاية وجوده، تعدد الانماط والنماذج التي أسس لمفهوم الإنسان ومركزيته الوجودية اتجاه ذاته، وروحه، وخالقه سواء التي ظهرت في الحضارات الشرقية (بابل) أو الزرادتشية أو الطرق العرفانية كالغنوصة والفلسفية كإخوان الصفا وخلان الوفاء كلها أسست لركائز معرفية وأخلاقية وروحية لبلوغ السمو الروحي وبلوغ الفضيلة أو اعتلاء مكانة الإنسان الكامل، برزت محاولات في السياق الإسلامي التي اردات ان تؤسس لمشروع الإنسان الكامل ذو الصبغة الصوفية الروحية من امثال الحلاج، يزيد البسطامي، وابي حامد الغزالي وابن عربي، وموضوعنا يتناول رؤية الشيخ الأكبر للإنسان الذي منه نثير الإشكال التالي:

ماذا يعني الإنسان الكامل في الزمرية الصوفية عند ابن عربي ؟
ويتفرع عنه الاسئلة التالية :

هل الإنسان الكامل إنساني وجودي يمكن تحقيقه او انسان نموذج يحمل صفة النبي ؟
بماذا يمكن للانسان بلوغ الكمال في رؤية بن عربي ؟

ركزنا على هذا الموضوع يعود الى حاجة عصرنا الي العودة لبعث مفهوم الإنسان وهذا لما نعيشه من أزلمات وجودية وعلى مستوى الفكر، كما اننا نحاول ان نبين مدى إمكانية نبذ التعصب الديني والتفرقة المذهبية وهذا من خلال رؤية محي الدين ابن عربي وقراءاته للأثر الثقافي لبعض الأمم (اليوناني، الغنوصي)، مما جعل منه يوظف مفهوم التوحيد الديني في الجمع بين القلب، العقل، والروح وإستعمالهما ادوات من الوصول الى المعرفة الكونية وتلك منعطف فكري يحسب له. فالقراءة لابن عربي من خلال الإنسان الكامل الهدف منه تكوين وعي بمدى فاعلية الإنسان ومشروعه الإلهي فاعلا كونيا ومتوقدا روحيا. وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج التفسيري الذي يتناسب هذه الدراسة، لنتمكن من تحليل بعض الغموض والرموز الصوفية.

2- معنى الإنسان عند ابن عربي:

2-1- الإنسان نسق معرفي:

لا ينفك او ينفصل تعريف ابن عربي للإنسان عن الصورة التي جاءت في القرآن او السير الدينية الإسلامية بداية من طور خلقه ونفخ الروح فيه الى مرحلة تكليفه، او بانه خليفة الله في أرضه، او ظله او صورته في الأرض، اسندت له مهمة إقامة شرعه والسير على خطاه وتجنب نواهيه، اذ أحتل الانسان مكانة جوهرية في فكر ابن عربي اذ لا ينفك نسقه المعرفي عن غايته الكونية، فبداية ما وجب على الإنسان انه يعرف نفسه ومعرفته بنفسه تسوقه لمعرفة خالقه.

وذاك طريق سلكه العديد من الانبياء والرسل بداية من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلوات الله عليه.

إذ ان اول ما عرض النبي على وساطة الله في حادثة غار حراء تكليفه بالقراءة فقال له 'اقرأ' هذه المفردة هي دلالة إعداد لشيء ما او تحضير لتغيير جبلي وواقعي، فبدأ في بناء انسان يستطيع تحمل الصعاب والشدائد، وكأن به يصنع مفتاح يفتح ابواب العوالم والأكوان. هذه الواقعة دعوة الى تخلي الفرد عن ذاته وتكوين صلة او رابطة بينه وبين الله وذلك هو الاختيار او الاصطفاء، وولوجه عالم التلقي والذي اجمل في الرسالة السماوية (الرسالة الخاتمة). كانت واقعة غار حراء استثناء كوني لخصت مدى صبر المصطفى وحلمه ومثابته ومجاهدة نفسه لنيل الرضى الرباني، كما انها تنم عن مدى خصوصية مقام نبوة سيدنا محمد عن غيره من الانبياء.

أثير جدلا في رؤية الشيخ الاكبر ابن عربي لحظة ابداعه رمزية الانسان في السياق الصوفي، بأنه متأثر بخبرات عايشها نفسيا (التكوين التعليمي) وتجربته الشخصية مع علماء (مصاحبته للعلماء والفلاسفة) من ديانات لا إسلامية ووضعية، وتنقلاته بين العراق وسوريا، اذ اثبتت تور أندريه " أن تشييد مذهب الإنسان الكامل كان يسير موازيا لتطور النظرية الغنوصية للنبوة في الاسلام، وهذه الأخيرة كانت من جانبها مرتبطة بغنوص الإمامة عند الشيعة، ... اعني 'الصادق الصادق' الموجود منذ الأزل الذي تتوارث روحه وفضله سلسلة الأنبياء التاريخيين، ويمز إلى تلك الروح والفضل بالجواهر النوراني الإلهي. - هذا النبي الصادق الذي تخلع عليه في الوقت نفسه صفات الكلمة (اللوغوس) الإلهية. هنالك يصبح النبي أنموذج الإنسان الكامل الذي ينظر إليه على أنه الغاية من حوادث العالم ومعناها، وأنه الوسيط بين الكل الواحد الإلهي وبين مظهره الخارجي" (بدوي، مايو 1976، صفحة 65)، وذاك دليل على قدرة الشيخ الاكبر على قراءة التراث الاولين وصناعة طريقة تتناسب وثقافته وإعتقاده ليخرج لنا تراث فلسفي ذو صبغة اسلامية.

رؤية ابن عربي للإنسان الكامل يعني به مسمى الإنسان، ويعني الإنسان الأول، ففكرة هذا الإنسان وردت في كتابات 'أرسطو طاليس'، وتخمزت فكرته هذه كنظرية استقاها من اطلاعه على التراث الغنوصي اذ قام في الدمج بين تلك الرؤى "ثم عدل عن طريق ميثافيزيقا العقل 'النوس' والكلمة 'لوغوس' الهلينية، وربط بينه وبين نظرية النبي والولي"، اذ لا تعدو نظرية النبي أو الولي فكرة دينية شيعية تستند الى الإمام أو الولاية والتي تنبني عند الشيعة في تعظيم شخص آية الله الذي له وظيفة الارشاد الديني وهذه المكانة تعني ولاية الفقيه ذو السلطة المطلقة والتي تأتي بمرتبة بابا الفتيكان.

يفصل ابن عربي في الإنسان وعلاقته بالعالم وبالله، إذ يخضعه لرمزية ايحائية وتعني ان كل معنى متضمن في الآخر، وبفقدان او غياب معنى عن هذه العلاقة يصدر عنه حدوث خلل او نوع من الفساد الوجودي، اذ لا يمكن التخلي عن تلك العلاقة الكونية الهابطة التي نزل بها آدم

من السماء، ويفترض ان يسلك نفس الطريق تصاعديا للعودة نحو السماء، ويمثل الشيخ ابن عربي ذلك " أن الإنسان هو حلقة الوصل المتوسطة (بين الله والعالم) والانسان، مفهوما على هذا النحو، بمثابة خليفة عن الله، فيه تتجلى الألوهية أو يستمر تجليه خلال العصور، أولا - بعد النبي- في الولي خصوصا، وللأولياء طبقات مرتبة يقوم على ذروتها القطب" (بدوي، مايو 1976، صفحة 67)

وفكرة "الإنسان الكامل" قد بدت في تاريخ مذاهب الإنسانية منذ عهد موغل في القدم، وكتب المتون والدين المقارن، وقد جعلت نقطة ابتدائها من أساس سكونية 'استاتيكية' آرية، إنما ترى فيه خصوصا انه 'الانسان الأول' و 'الكيومرث' عند المزدكية (حركة دينية واجتماعية تنتمي الى الزرادشتية والمناوية)، و 'آدم قدمون' في كتب القبالة اليهودية، و'الإنسان القديم' عند المانوية المستعربة. والتصور السائد ان الإنسان هو 'إنسان عين الوجود' فأحل محل 'الكلمة' المتجسدة عند النصارى 'صورة نموذجية' هي الأثر المعقول الذي تركه الخالق في المخلوق وهذه العين ، هي النبي محمد، هذا النور النبوي الأزلي الذي يقال أن الله قال له: 'كوني! فلولاك ما خلقت السموات' (بدوي، الانسان الكامل في الاسلام، مايو 1967، صفحة 113)

يعرض لنا ابن عربي صورة الانسان بانه يدعى بالانسان الكبير ويرادفه ما هو مختصر بالإنسان الصغير بث الله فيه كل مقومات ومكونات العالم الكبير، فظهر في ما يماثل وينظر عالم مصغر، والعالم على صورة الحق، فالإنسان على صورة الحق، وهو قوله: "أن الله خلق آدم على صورته" اذ هو يتشبه بالخالق من خلال إمتثاله للأوامر السماوية واحلال العدالة الالهية، وعلى حد تفسير ابن عربي ان الانسان والعالم كائنان منفصلان يشتملا على نفس المعارف والأسرار، لكن الإنسان عالم صغير والعالم إنسان كبير، ويعني ذلك ان الانسان بعقله يتطلع الى معرفة اسرار الكون للوصول لربه. فالحقيقة هي معطاة للانسان. فالانسان الكامل هو الموصوف في قوله " سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " فصلت، الآية 53.

ذلك الانسان يتقلب في المراتب ويعلو كما تتقلب عوالم الاكون وكحركة الكوكب والاجرام السماوية في حركتها الكونية تلك الحركة التي هي تعبدية لا نفقها غايها القرب لا البعد، لكن تتبع الانسان بعقله وحواسه وتدبره لمدى تجانس حركة الاكون واجرامها دون الإخلال بذلك النظام، ذلك طقس إلهي يستخضره الصوفي في عبادته من تراتيله وتسبيحه وتقديره لأسماء الله وصفاته، كما ان الاعتقاد بالتبرك بأي اسم من اسمه هو رغبة في بلوغ الكمال والتعلق بذات الاسم بالله والتقرب اليه، وكما قال ابن عربي في الفتوحات المكية "فإن الله أحب أن يعرف، فخلق الخلق وجعله مجالى لتجلي أسمائه وصفاته" وعليه فإن الله لا ينحصر يتجلى في صورة واحدة في الكون فإن كل الموجودات الكونية هي تحتوي صفة من صفاته وابداعاته الخلقية والخلقية نستحضر هنا مكانة سيدنا سليمان في مكانته الكونية فدعى الله ان يهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، ذلك الملك

لايتمثل في المال فقط بل المال والعلم معا، اذ ثبت في الأثر " ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلمنا"، وذلك إقرار منه للتفرغ لعبادة الله وشكره.

كما ان الله تعالت عظمته، احب من عباده ان يعرفه حق معرفته، ومن اجتهد في معرفته تلقى المحبة منه، والمعرفة هي طريق التحقق ذلك يبعث بان الله اودع في عباده حرية التفكير والإطلاع، علاقة الله بعباده المصطفين والذين يحبهم ان يتجلى لهم، وعليه فإن الله لا يكشف عن ذاته رحمة بعباده وتجليه الديناميكي يكون في عالم النفوس والذوات الروحية، واسراره ونواميسه يكشفها لعباده الصالحين ذو الصفوة الأخيار، ويقدم لنا ابن عربي من خلال "الميثافيزيقيا الإسلامية والتي هي عالم تتكون به صور ومثل روحية بإمكانها الصعود والالتحام بصور إلهية تعطى كنموذج لوعي الانسان. اذ يمثل عالم المادة هو عالم الشهادة (مجال المادة والحواس)" (Hassan, The Concept of the Perfect Human (al-Insān al-Kāmil) in Ibn Arabi's Thought, , 1 (June) 2025, p. 124)

ففيه تنعكس الاسماء الإلهية بأكثر صورها تخصيصا وجليا فكل ما هو موجود من جبال وأشجار وبشر ودواب ونظام طبيعي لديه صبغة وايحاء ينم على الإنعكاس الإلهي او نوع من الكشف الجزئي.

يصرح ابن عربي ان للانسان مراتب يسلكها او مقامات يسكنها الى ان يصل الى مرتبة الانسان الكامل، والتي اتت على لسان الشيخ محمد بنفضل الله الهندي ومن بين الراتب التي ذكره " غيب الأحدية، والوحدة أو الحقيقة المحمدية، والواحدية أو الحقيقة الإنسانية، وعالم الارواح، وعالم المثل أو الخيال، وعالم الأجسام، والإنسان الجامع المطلق.... والمرتبة الاخيرة منها، أعني الإنسان، إذا عرج، ظهرت فيه جميع المراتب الستة...فيقال له أي لذلك الإنسان الموصوف بما ذكر: الإنسان الكامل، والروح والانبساط على الوجه الأكمل كان في نبينا صل الله عليه وسلم ولهذا كان خاتم النبيين" (هويدي، صفحة 218)

الانسان مظهر من مظاهر الله وتجليات الذات الالهية او بمعنى ادق ان الانسان على علاقة اتحاد بالذات الالهية، ويحدث اندماج بين الخالق والمخلوق وكل ذلك يكون بشئ من التنازل عن رغبات النفس الشهوانية والتمسك بالرياضة والمجاهدة الروحية، مع دعوة المتصوفة من امثال الشيخ الاكبر ان الإنسان هو مطلوب منه الفناء المطلق في الله أو ان كل كلام الله المعجز المنزل يكون عن طريق الإنسان او هو صوت الله، وذلك ما يعرف لدي الكثير من المتصوفة على نمط ابن عربي ان الانسان يتحد في الله اتحادا كاملا "يتجلى الله في الإنسان، لأنه يعد الإنسان المختصر الشريف' للكون كله، ويجعل في كتاب إنشاء الدوائر، دائرة الخلافة الإنسانية' في مقابل دائرة 'الحضرة الإلهية' ويأخذ في مضاهاة كل ما في الدائرة الثانية على الأولى لأنه يعتقد أن الإنسان

'عالم اصغره ما كل مافي ' العالم الاكبر...ولم تتضح صورة الله تماما إلا عند تجليه في الإنسان لأنه الحامل السراإلهي" (هويدي، صفحة 220)

كما ان تمظهر مقام حضرة الخلافة الإنسانية في مرتبة النبوة هو الله يرسل على عبده المجتبي كل الشرائع والقيم الانسانية والنصوص الدينية، وذلك ما ثبت في تاريخ الأمم والجماعات ان الله يبعث كل مئة عام إنسان مجدد، يعيد بعث نواميس الحياة ويبعث الأمل في النفوس ويشحد الهمم، وهنا نرى رمزية التجديد التي لا تنحصر في اي مجال من مجالات الحياة فقد تكون في العلم أو السياسة او جوانب تربوية ودعوية. وهذا المقام جله يختص به أولياء الله الصالحين. استيداع العقل في الانسان ذاك صفة أمتاز بها عن سائر المخلوقات ليميز بين الخير والشر وبين الحق والباطل، لكن رؤية الشيخ الأكبر ابن عربي لإعتلاء الإنسان مرتبة الفضيلة لا تكون بالعقل، والعقل قاصرا عن أدراكها فلا بد لإنسان ان يتقلب في المراتب ويزواج بين العقل والقلب، وعليه فإن "الانسان الكامل لا يصل الى معرفة حقيقته الشريفة هذه، عند ابن عربي، الا اذا انتقل من العقل القائم على التفكير، ومن علم الأحوال القائم على الذوق إلي علم الاسرار، وهو أشرف العلوم لأنه يقوم على نفث روح القدس في الروح وهو ما يختص به النبي أو الولي أو الانسان الكامل. وفي هذه المرحلة 'الملاطية' وهي مرحلة في طريق السالكين عند ابن عربي" (هويدي، صفحة 222)

يعتبر الشيخ الأكبر ان النفس الانسانية العاقلة تمثل خيال الله في الجسم، اذ من خلال العبادات والتي تتمثل في الزهد وغايتها الاسعى التحرر من البدن واغلاله وقيوده المرتبطة بالرغبات واللذات والشهوات وطغيان المادة، والهدف من الرياضة ومجاهدة النفس هو القرب من الله، كما ان النفس في طبيعتها هي "متولدة من الطبيعة 'أمها'، ومن الروح 'أبيها'، وتأخذ إمداداتها من النفس الكلية 'أو الاوح المحفوظ' " وتتجلى صفات الانسان ومعانيه من خلال:

الذكر: اتخاذ المؤمن ورد قرآني او ورد يتمثل في دعاء او ابتهال يتقرب الى الله، فالذكر يختص به عباده الصالحين يدل على الافتقار التام له، ومناجاة قلبية وتذلل له، وتصفية النفس إذ يخصص لها أوقات معينة. فالذكر الذي هو نمط الدعاء ليس عادة ذلا بل يمكنك ان يكون تعبيرا عن الشوق والمحبة لله. فالتوسل يتخذ من اسماء الله الحسنى وبالسرا المحمدي وبالانبياء والصالحين.

الفناء: هو مواظبة المؤمن في الحلقة على ذكر اسم الله والتبرك به والانشغال بذلك الاسم والتحلي بصفاته، حتى يحدث له نوع من الحالة النفسية التي تصل الى حالة الإغماء حيث يصفها بعض المتصوفة بإنها في لحظة اتحاد مع الله .

الرقص وتعذيب الجسد: هونوع من التمايل الجسدي والدوران حول الذات في لحظة توحى بالكثير من المعاني الوجودية وإيحاء منهم ان نواة الشيء تسبح في الفضاء وتدور حولها الالكترونيات ممن اليمين نحو اليسار.

الذوق والشرب : هذه الحالة تأخذ بالقلب، وينتظر الصوفي ان يكشف عنه الحجب، ليكتشف اسرار التي ينتقي منها.

اليقين: هو مقام روي يتشكل في النور الذي يسطع في قلب المؤمن يعني حالة من الرضى والاستقرار الروحي والذي يأخذ به الإيمان ولليقين مراتب : علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين. اذا ان اليقين هو تحصيل المجاهدة والعبادة والزهد والتعلق.

الفناء: وهو من اكثر المفاهيم الغامضة، ويعني به الفناء المعنوي الروحي، اذ هو نوع من الذوبان وحضور في حضرة الله ويقول المتصوفة عن الفناء "سقوط النفس مع بقاء الحق" والفناء مراتب يبدأ من الفناء في العvisية وصولا الى الفناء والبقاء. مركزية الإنسان في روى بن عربي.

3 - مركزية الإنسان عند ابن عربي:

3-1- الإنسان الخليفة صورة الله:

يخاطب معي الدين ابن عربي الفرد المسلم رغبة منه في الإرتقاء بروحه الى عالم الكمال الذي بلغه قدوته محمد صلوات الله عليه، خطابه موجه للعقل شارحا الدروب التي لا بد ان يسلكها الانسان المقندر. فكتاب ابن عربي "الانسان الكامل" هي دعوة منه اولا بمدى تأثير صفات ذاك الشخص فيه وفي العالم بأسره فهو يحتفي به وبقدرة ودعوة منه الى ابراز شمائله خلقه، حلمه، علمه وخصاله صبره، والتعريف به وبيان محبته للعالم ولله ومحبة الله له، والعهد الذي بينهما ومدى تعلق الروح بخالقها وكأن هناك حديث تواصل يراد بين كيان وخالق هذا الكيان. يكمن سر وفوق في عند الشيخ الاكبر ابن عربي هو حاجتنا الى هذا الموروث في الوقت الذي طغت فيه وتعاضمت التشبث بالحياة ومستلزماتها المادية ثم العودة بالانسان الى الالتزام بها النهج النبوي، وإعادة بحث الروح في تراثنا وتقديره كل ذلك الهدف منه بناء الفرد والمجتمع روحيا. ومن خلال سيرة هذا العلم في تلقي العلوم ودور شيوخه واثريهم في شخصه وابداعه المعرفي الفلسفي، يرى ان المشيخة من أهم المراحل العلمية للفرد في تلقي العلوم والتكوين.

انتقل الشيخ الاكبر من عالم اللوح والقلم الى عالم العرفان والالهام من خلال تفسير منامته التي رآها في بجاية "اذ رأى أنه عقد زواجه في المنام على نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم، ثم أعطى حروف الهجاء فتزوجها جميعها. واكمل ابن عربي قائلا: وعرضت رؤياي هذه عل من عرضها على رجل عارف بالرؤيا بعيد بها... صاحب هذه الرؤيا يفتح له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب مالا يكون فيه أحد من أهل زمانه" (عربي، صفحة 15)، وهذه مباركة لابن عربي بأنه سيكون قطب للعالم الاسلامي في كشف الاسرار وبعض الحجب هذا من جهة، ومن جهة أخرى

بشارة له على امتلاكه ناصية اللغة والبيان والتي هي برهان لامتلاكه الكلمة والحرف وتلك هي مقامات واحوال الصوفي وصفاته، ففي مقاربة النبي الرسول امتلك لسان معجز حتى قيل عنه انه شاعرا مجنون.

كما ان مفردة الإنسان الكامل بالعربية لها ما يقابلها في ثرات الشرق الأقصى خصوصا في اللغة الصينية "المليك" (تاو-تي-كينك، 25) - وفي الموروث الاسلامي تباينت الآراء والكتب في التأليف فيها ومن بين الفقهاء الذين كتبوا عنها محي الدين بن عربي (560-638هـ) ولعبد الكريم الجيلي (ت: 832هـ) (يجي، 2016،، صفحة 68) في أهم الكتابات: الكمالات المحمدية والانسان الكامل في رؤية ابن العربي. تكررت في معنى الانسان الكامل عدت مرادفات بالانسان الحيوان الانسان الكبير الانسان الخليفة الانسان الصغير الانسان الجامع الانسان الاول والانسان الازلي والعبد الكامل العبد الكلي العبد الاصلي العبد الجامع العبد المحقق العبد المقرب والعبد الخالص والعبد الذاتي والعبد المحض والعبد المصطفى كل تلك النعوت والاسامي جاءت لما يواقف قوله تعالى "قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين" الزخرف الآية 81.

امعاننا في التفكير في تلك النعوت الإسمية المختلفة التي وردت في جل مآثر الشيخ الاكبر ابن عربي انه استعمل مفردة الانسان الذي يمثل ظل الله في الارض ونوره وخليفته والذي خلق على صورته، وبالتالي منح صفة التفضيل على كل الموجودات، ومنه اخذ كل صفات خالقه ويريد ان يحيط بها ويدور حولها، وانتقاله الى تعلمها في رحلة استذكار لما كان في السماء قبل الهبوط، يعد ذلك عبارة عن عودة الى أصله والارتقاء بذاته في مراتب الألف والانس والعرفان

وعلم آدم "الانسان الخليفة" للاسماء إصطفاء لروحه الطاهرة وتمكين له، وكأن الله كان بحاجة لمخلوق يخاطبه دون الملائكة، فأودع فيه الأداة أو الوسيلة 'العقل' التي بالإسراف في استعمالها او امتلاكه احترافية العمل بها يكتسب صفات الملائكة أو يتجاوزها. وبملكة العقل يستبج معرفة خبايا واسرار الكون ويرتقي فيه الى معرفة الحقيقة الكلية المتعلقة بالذات الالهية. وان كل ما في الوجود من شجور وجردوداب وأهوال هو صوت ومظاهر للحق. والحقيقة المحمدية هي مسار الإنسان النبي التعبدى للتوقف في المقامات الدنيوية والاخرية والتقلب فيها الى ان يصل لربه.

اذ ان التقلب في احوال الدنيا واحوال النفس سمة تفرد بها كل من فاض اسمه عن اسم المصطفى صلوات الله عليه أو اسماء الله الحسني كأنهم في مقام النبوة والرسالة فالانبياء والصالحين وأولياء الله وخاصته يعرفون مقامة بعضهم، كما انهم ذرية من بعض وذاك ما أشار الله القرآن 'ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ' آل عمران الآية 34 ، وذاك معلوم في ابراهيم وسيدنا يعقوب فإصطفاء سيدنا ابراهيم ابو المسلمين هو كونه كان على دين السمعى، واصطفاء سيدنا يعقوب امتحان ابدال الشوق بالشوق، لكن كيلا اللذان اصطقي من الله امتحنا فسيدنا

ابراهيم امتحن مع النمرود وقصة هدم الاصنام وإلقاءه في نار متقدة، ويعقوب عني الفقد في ولده يوسف والذي كان احب اولاده الى قلبه. اذ ان الطريق اليه واحدة لكن كل له طريقته للتقرب لربه. كما ان الإصطفاء تفاضلي من عند الله فاصطفاء كلیم الله ليس كإصطفاء روح الله واصطفاء آدم ليس كإصطفاء حبيبه محمد صلوات الله عليه، كما ان المرأة الوجودية هي تفاضلية بين القوامة والاكتمال والنقص فهي انعكاس للحق في الارض، ومن كانت مرآته مكتملة من الانبياء والرسل كان خليفة لله في الارض. ومرآة الحق والحقيقة عند ابن عربي : هي الخلق، وأخص هو القطب والانسان الكامل، والانسان من حيث هيئته يعد مظهرًا ومجلي للحضرة الالهية، فلك المحيط ، الدرة البيضاء، روح الله، ظل الله، بيت الله، مرآة الحق والحقيقة

تلك الوصوف هي تمثيل الشيخ الاكبر لعالم المقامات والأحوال هو تخلي منه عن احواله الشخصية والنفسية وتوجهه نحو معرفة حقة متصلة بذات الله، اذ ينتقل بين عالم سفلي الى عالم علوي وهنا هودائم الاقتداء بهدي المصطفى عليه صلوات الله وما حدث له في حادثة الاسراء والمعراج.

كما اننا لا نلمس بدعة في توجهه هذا لأنه سالكا طرق الصوفيين في مصادر علومهم ، والتي تظهر في مقولة "كلما نكت في قلبي من نكت القوم لا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة" فمصدر كل استشهاده القرآن والحديث.

يحتل الانسان منزلة أو مكانة قدسية في فلسفة الشيخ الاكبر، لا يستطيع البتة ان ينفك كل بناءه العقلي أو الحجي ان يقدم يؤسس لمسار سيرورة التصوف الخاص ككيان له، رغم استفادته من الموروث الشرقي واليوناني لمركزية الانسان، الا انه تمكن ان يصبغ تلك الرؤيا بصبغة إسلامية ويوطئها في تربة عربية، يأصل لها ابن عربي بلبنات مستمدة من السنة والقرآن الكريم بداية من خلق آدم وتكريمه وثبات مكانته الفاضلة وإصطفاءه الى مرحلة جعله عالما يوازي عالم الموجودات، اذ ان الانشغال المثار عن الإنسان وعلاقته بوجوده والكون وخالفه هي مسألة تكاد تعاد في سياق زمني جديد يخضع لثقافة ومعتقدات الحضارة التي ارادت بناء او اعطاء وجه آخر للإنسان.

4- الإنسان نور العالم :

4-1-المقام النهائي للإنسان:

تجدد بنا العودة لدعوة محي الدين ابن عربي من خلال إعادة بعث رؤية الإنسان هو روح العالم والتي تحمل رسالة عدم التعالي على الإنسان وقبوله كمكون يحمل نور يضيئ الكون اذ كان لا بد لي من استحضار حادثة الاسراء والمعراج، اذ يتمثل ان كما للرسول رحلة ايمانية يمكن للاولياء والصالحين ان ينالوا مثلها، تلك الرحلة هي توضيح لمقام النبي وارتقاءه روحيا وبيان منزلته وتكريما وتعظيما له. ففي هذه الرحلة التي هي تعبيرا عن القرب المحمدي الالهي او تعلق محمد بربه وشوق

الحبيب لمحبوبه، ففي اشعار النبي محمد بالرحلة كان قد اعد لها روحيا وجسديا، من اختيار الصعبة، وزيارة بيت المقدس والصلاة بالانبياء رضوان الله عليهم، وركوب الدابة ثم عرج به نحو السموات السبع. ونحن امام المعراج الذي هو قرب ورفع الى مكان طاهر نحو "عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى" النجم الآية 15.14، المكان لم يخطر على بال بشر. جبريل المرسل بين الارض والسماء لم يمنح اشارة القرب، وان اقترب لاحترق، وفضل المختار "فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ" النجم الآية 10.

جاءت الدعوة مخصصة للنبي صلوات الله عليه " انت كريم مكرم عند خيرة أهل الارض من الناس، وهم الأنبياء.. انت كريم مكرم عند الملائكة الأعلى، وهم الملائكة أهل السماء.. انت كريم مكرم عند رب العزة، أدناك وقربك، ورفعك فوق كل نبي وملك " (عربي، صفحة 19)

فكل هذه الأحداث حين اسقاطها على قراءة ابن عربي للإنسان الكامل نرى فيه انه يرفع مفهوم التسامح ومرجعته في ذلك صلاة النبي محمد بالأنبياء وفيه نلمس ان كل الاديان تصب في مطلب العبادة والذي هو ضرورة إلهية صرفة، فدعوة ابن عربي الصريحة هي اعتناق دين الحب ونبذ التعصب العقدي هو ان تنكر على آخر اعتقاده، حيث قال محي الدين ابن عربي "عقد الخلائق في الاله عقائد- وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه".

هذه الدعوة الفكرية المؤسس لها على لبنات متينة، قد اتت بثمارها مع الأمير القادر الجزائري وقت إقامته في سوريا، وتصرفه الحكيم في تمكنه من القضاء على النزاعات الطائفي بين المسيحيين والدروز، حيث قام الامير بحماية الالاف من المسيحيين. هنا نستشف حجم التقارب الفكري والاعتقاد بين هذه العالمين الجليلين، ندرك مدى تأثير فكر محي الدين ابن عربي على فكر الأمير عبد القادر الجزائري فهذه الرؤية الإصلاحية تنبت ما جاء في الحنفية السمي تفضيل بني آدم على العالمين، فهدم الكعبة حجرا حجرا أهون عند الله من ان يراق دم أمري مسلم، وإراقة الدم خارج منطق الحرب غير جائز.

5- خاتمة:

رؤية ابن عربي للإنسان الكامل انه انعكاس الوجود وكائن يتمظهر من خلاله الحق بكونه خليفة الله في أرضه، اذ يمثل العالم الاكبر الذي تجتمع فيه كل اسرار الوجود والأسماء الإلهية، الحقيقة والظاهر والباطن، وتلك دعوة الشيخ الاكبر ابن عربي في تحديد المجال الكوني الذي لا بد ان يتعلق عقل وقلب الإنسان به. كما ان رؤية الشيخ الاكبر هي دعوة الى التركيز على الجانب الروحاني وأخذ المعارف من مصدرها الأول وإعادة إثارة الهم الديني اي ان الإنسان لا بد ان يأخذ القضايا الدنيوية من وجهة دينية أو ارجاع العلم الدنيوي الى العلم اللادني.

تصور الشيخ الاكبر ابن عربي للإنسان الكامل انه إنسان واحد ذو نفسية متكاملة لا يحمل منطق الاختلاف، متصالحا مع نفسه ومع وجوده وعالمه ومع غيره، لا يرى في المثال له عدو. ويجعل

من المحبة ديدنه وباب يكشف به العالم. وهذه دعوة ابن عربي الى التسامح وفق أطر عقلية وروحية تضمن للكل تشاركية العالم معنا.

وعليه نرى ان الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي قامة فكرية سبق كل السياسيين والمنظرين الغربيين وكل المؤتمرات والقمم التي تقام بسبع قرون او يزيد بهدف لوضع أرضية للعيش المشترك، وهنا ندرك المكانة الحضارية والثقافية والدينية لهذا القطب.

يمكن للفكر الصوفي الفلسفي وفهمه العميق للانسان استطاع ان يمنحنا وصفة علاجية لتجاوز التطرف المذهبي والتعصب الديني، وعلى حسب فهمنا للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي انه بالإمكان صياغة نوع من الرضا والتعاطف الديني بين الأمم والمجتمعات دون النزوع الى ممارسة العنف الديني، فالرسالة التي بعثها محي الدين الى العالم هو ان الإنسان هو المركز الذي إقيم العالم من أجله.

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

1. عبد الرحمن بدوي(1976) الانسان الكامل في الاسلام. الكويت. وكالة المطبوعات.
2. عبد الواحد يحي. (2016). رموز الانسان الكامل. أريد الاردن: عالم الكتب والحديث.
3. محي الدين ابن عربي.(دس) الاسرا الى مقام الاسري. تحقيق سعاد الحكيم، بيروت لبنان، دندرة للطباعة والنشر.
4. يحي هويدي(دس) دراسات علم الكلام وفلسفة الإسلامية. القاهرة. مصر. دار الثقافة للطباعة والنشر.

ثانيا المراجع باللغة الاجنبية

5. Syeda Dur e Nayab. Mahdi Hassan.(2025) The Concept of the Perfect Human (al-Insān al-Kāmil) in Ibn Arabi's Thought Pakistan. Jurnal Filsafat dan Teologi Islam.